مصادر الفكر اليهودي
وأثرها على الشخصية اليهودية قديماً وحديثا

د. حمود غزاي الحربي

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

١٤٤٠هـ -٢٠١٨م

من ١٣٧٣ إلى ١٤٢٤

ملخص بحث

"مصادر الفكر اليهودي وأثرها على الشخصية اليهودية قديماً وحديثا

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد :

عُني هذا البحث بالتعريف بمصادر الفكر اليهودي بعد توطئة عن تعريف الفكر لغة واصطلاحاً ثم تعريف الفكر اليهودي

ثم تم التعريف بمصادر الفكر اليهودي الثلاث العهد القديم ثم التلمود ثم البروتوكولات من حيث المكونات والمكانة والأهمية

وفي الفصل الثاني من البحث ثم بيان أثر هذه المصادر على الشخصية اليهودية قديماً بالشواهد على ذلك في قضيتين رئيستين

- قضية الاصطفاء والاختيار.
- قضية أرض الميعاد.

وتم كذلك من خلال هذا البحث رصد أثر هذه المصادر على الشخصية اليهودية المعاصرة وبيان ذلك بالشواهد في هاتين القضيتين أيضا

وفي الخاتمة بينت ما توصلت إليه من خلال هذا البحث وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

Search summary

"Sources of Jewish thought and its impact on the Jewish character of old and recent

Praise be to God alone and prayers and peace be upon those who have no prophet after him and after: This research deals with the definition of the sources of Jewish thought after the introduction of the definition of thought language and terminology and then the definition of Jewish thought The three sources of Jewish thought were then identified as the Old Testament and then the Talmud and then protocols in terms of components, status and importance In the second chapter of the research, then the impact of these sources on the Jewish character in ancient times is shown by the evidence in two main cases o The issue of selection and selection.

o The issue of the Promised Land.

It was also through this research to monitor the impact of these sources on the contemporary Jewish character and to indicate this in both cases In conclusion, I have shown what I have reached through this research and may Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهدُ أن محمدًا عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فقد لعب التراث اليهودي دوراً كبيراً ومؤثراً في الشخصية اليهودية عبر تاريخها في القديم والحديث، فانطلقت في مشوارها الطويل نحو الآخر عبر هذا التراث في عقيدتها وأخلاقها وسلوكها.

ومن هذا التراث مصادر الفكر اليهودي ومن أهمها كتاب "العهد القديم" الذي يعتمد عليه اليهود في تعاملهم مع الله والكون والخلق فهم يقدسونه ويؤمنون بأنه المرجع الأول لكل تعاملاتهم والموجه الرئيس لكل تصرفاتِهم, والتوراة جزء رئيس فيه ويجعل اليهود دراستها جزءٌ لا يتجزأ من عملية تنشئة الفرد اليهودي ولذلك طبعت حياتهم بطابعها الخاص واختلطت مفاهيمها بحياتهم في مختلف جوانبها الفكرية والروحية والعملية والاجتماعية ثم كانت الموجه في مختلف المعاملات والمناسبات وفي كل ما يتصل بمجالات التعبير الذاتي في حياة الفرد اليهودي "[١]

(١) العنصرية اليهودية د. جورجي كنعان ص : ٢٩ نشر دار النهار بيروت ط/١ ١٤٠٣هـ

أما التلمود فيقول الحاخام برود في مقدمته للتلمود: إنَّ الكتب المقدسةَ وأثار الربانيين والتلمود والمشنا كل ذلك هو مجال حضارة لها بالغ التأثر في أنفسنا تأثراً يشمل مظاهر وجودنا اليهودي وفسَّر معاني حياتنا.

ويوضح الدكتور فابيان هذا المعنى بشكل أدق فيقول:

"إنَّ الحياة اليهوديةَ مؤسسةٌ إلى حد كبير على التعاليم والأسس اليهودية فطقوسُنا وكتاب صلاتِنا واحتفالاتنا وقوانين زواجِنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرةٌ مستخرجةٌ مباشرةً من التلمود"[1] فالتلمود هو الوثيقة الأساسية لدى اليهود وهي تحدد نظرة اليهودي إلى الكون والله والإنسانية في مجالاتها جميعاً سواءٌ كانت سياسية أم أخلاقية ،دينيةٌ أم حياتية،ومن يريد أن يدرس حياة نفسية اليهودي في أي صقه من أصقاع الأرض فعليه أن يدرس التلمود"[2]

ونظراً لدور مصادر الفكر اليهودي في صياغة الشخصية اليهودية وأثره عليها فإن هذه الدراسة تحاول سبر أغوار هذه المصادر ودورها في ذلك بالشواهد من القديم والحديث على ذلك وقد حملت هذا العنوان: "مصادر الفكر اليهودي وأثرها على الشخصية اليهودية".

وتتكون الدراسة من مقدمة وفصلين وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع. وفهرس الموضوعات وتفصيلها على النحو التالي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وسبب اختياره.

---

(٢)التطرف اليهودي عبد الراضي محمد عبد المحسن ص٦١ نشرمكتبة التوعية الإسلامية القاهرة ت ١٩٩٨م

(٣) مفاهيم تلموديه نظرة اليهود إلى العالم عبد المجيد هموص١٩ نشر دار الأوائل ط٢٠٠٣/١

الفصل الأول: مصادر تكوين الشخصية اليهودية فكريًا. ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العهد القديم (التوراة).

المبحث الثاني: التلمود.

المبحث الثالث: بروتوكولات حكماء صهيون.

الفصل الثاني: أثرها على الشخصية اليهودية ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: أثرها على الشخصية اليهودية قديما

والمبحث الثاني: أثرها على الشخصية اليهودية حديثا

وذُيِّلت الدراسة بالخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

والله تعالى أسأل الهداية والتوفيق والسداد، ومن يهدِ الله فهو المهتدي، ومن يُضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

مصادر تكوين الشخصية اليهودية فكريًّا. ويتكون من ثلاثة مباحث:

- **مدخل في تعريف الفكر لغة واصطلاحا:**

المبحث الأول: العهد القديم (التوراة).

المبحث الثاني: التلمود.

المبحث الثالث: بروتوكولات حكماء صهيون.

مدخل : الفكر لغة واصطلاحًا

عُرِّفَ الفِكْرُ بأنه "إعمالُ الْخَاطِرِ فِي الشَّيْءِ".(١) وقيل: "الْفِكْرُ بِالْكَسْرِ تَرَدُّدُ الْقَلْبِ بِالنَّظَرِ وَالتَّدَبُّرِ لِطَلَبِ الْمَعَانِي ... وَيُقَالُ الْفِكْرُ تَرْتِيبُ أُمُورٍ فِي الذِّهْنِ يُتَوَصَّلُ بِهَا إلَى مَطْلُوبٍ يَكُونُ عِلْمًا أَوْ ظَنًّا".(٢) وورد كذلك أن: "الفِكْر، بالكَسْر، ويُفْتَح: إعمالُ النَّظَر".(٣) وقيل أيضًا هو: "إِعْمَالُ العَقلِ فِي الْمَعْلُومِ للوصولِ إِلَى معرفَةِ مَجْهُولٍ".(٤)

هذا بالنسبة إلى الفكر بشكل عام، أما إذا أحببنا تعريف الفكر اليهودي في الاصطلاح فيمكن تعريفه بأنه: خلاصة الموروث اليهودي الموجِّه للشخصية اليهودية في تعاملها وتفاعلها مع المحيط بها. وسمي بهذه التسمية من باب تسمية الشيء بما يصدرُ عنه، فالمراد هنا هو نتاج مصادر الفكر اليهودي من توراة وتلمود وغيرها، لا عملية التفكير. فكل ما يصدرُ عن الشخصية اليهودية اليوم على اختلاف توجهاتها السياسية والاعلامية وكذلك العسكرية من أقوال أو أفعال –مردُّه إلى الفكر الناتج عن الموروث الديني والصهيوني.

---

(١) لسان العرب. ابن منظور. بيروت: دار صادر، ط٣ / ١٤١٤هـ. مج٥، ص٦٥.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. الفيومي (ت: عبد العظيم الشناوي). القاهرة: دار المعارف، ط٢ / د.ت. كتاب الفاء، الفاء مع الكاف وما يثلثهما، ج٢ / ص ٤٧٩.

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي (ت: حسين نصار). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٩٤ه (١٩٧٤م). باب الراء، فصل الفاء مع الراء، ج١٣، ص ٣٤٥.

(٤) مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤ / ٢٠٠٤م. ج٢، ص ٦٩٨.

والحقيقة أنه لا يمكن لأي باحث يدرس اليهود واليهودية وما يرتبط بهما من ديانة وتاريخ وكيان وأحزاب أن يفصل بين هذه العناصر وبين مصادر الفكر اليهودي الرئيسة كالتوراة والتلمود أو المصادر المساندِة كالبروتوكولات؛ ذلك لأنها قامت على عقيدة استقتها من هذه المصادر؛ إذ لا تكاد تجد مؤرخًا أو سياسيًّا أو اقتصاديًّا أو عسكريًّا أو إعلاميًّا إلا ويؤكد هذه الحقيقة فيما يكتبه أو يتحدث به. فعقيدة "شعب الله المختار" استلهموها من التوراة، وعقيدتهم في أرض الميعاد وأرض الآباء والأجداد التي يسمونها الأرض المقدسة تنطلق من التوراة والتلمود، وما يتبع ذلك من احتلال أرض الغير وطردهم وتشريدهم هي عندهم امتداد لتاريخ الآباء: إبراهيم واسحاق ويعقوب. ويؤكد ذلك ما قاله موشيه ديان وزير حرب الكيان الصهيوني عام ١٩٦٧م، عندما دخلت قواته القدس الشريف واحتلته، الذي أفصح قائلًا: "لقد استجبنا لدعوة أبينا إبراهيم".(١)

وهذه الدراسة ستلقي الضوء بحقائقها وشواهدها على أثر هذه المصادر الثلاثة في الشخصية اليهودية، وهي:

١ – العهد القديم (التوراة).

٢ – التلمود.

٣– بروتوكولات حكماء صهيون.

وتجدر الإشارة إلى أن حديثنا عن كل مصدر سيدور حول التعريف به، ثم بيان مكانته ومنزلته عند اليهود بشكل عام، وبقدر الحاجة لذلك فحسب.

---

(١) قصة حياتي؛ قيام دولة إسرائيل وحروبها ضد العرب. موشي ديان ترجمة: طارق حسن).الجيزة: مكتبة النافذة ٢٠١٠م.ص ١١.

المبحث الأول

العهد القديم (التوراة)

يُطلق لفظ التوراة على العهد القديم بأكمله من باب إطلاق الجزء على الكل وإلا فالعهد القديم الذي وصل إلينا يحتوي على ثلاثة أقسام رئيسة، هي: التوراة، وأسفار الأنبياء، وكتب الحكمة (أو المكتوبات).

وإذا كان العهد القديم قد بدأ بالأسفار الخمسة: (سفر التكوين، والخروج، واللاويين والعدد، والتثنية المعروفة بالتوراة، إلا أن بقية الأسفار الأخرى قد جمعت بترتيب منهجي حسب مادتها، وليس بترتيب تأليفها.

وسفر التكوين أول أسفار التوراة يحدثنا عن الأصول الأولى للحياة البشرية، ويتدرج بنا حتى يوضح لنا علاقة العبريين الأولى بإبراهيم عليه السلام. أما سفر الخروج فتسيطر عليه شخصية موسى وقصة خروجه من مصر وإعلانه الشريعة من جبل الطور في سيناء. أما السفران التاليان وهما اللاويين والعدد فهما يحتويان على مزيد من أحكام الشريعة والطقوس الكهنوتية، كما يُوردان انحراف العبريين وعصيانهم عن متابعة خطى موسى عليه السلام، ووصول العبريين إلى نهر الأردن مع سرد إحصائي للعبريين الذين رافقوا موسى عبر صحراء سيناء. أما آخر الأسفار الخمسة سفر التثنية فهو الذي يعني إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل للمرة الثانية، منذ خروجهم من سيناء. ووصولهم إلى جنوب الأردن، وهي آخر الأحكام التي فرضها موسى قبل وفاته في أرض الميعاد على مرأى عينيه.

وتوراة موسى في وضعها الذي وصلت به إلينا تشكل مشكلة معقدة تنطوي على أخطر المشاكل النقدية؛ حيث تنسب الروايتان اليهودية والمسيحية القديمة تأليف الأسفار الخمسة المعروفة بالتوراة في صورتها

الحالية إلى موسى عليه السلام، وهذا يجعلها في صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمني لمادتها.

فالتوراة لم تكتب إلا بعد وفاة موسى بحوالي ألف سنة، ولم تكتب أثناء السبي البابلي في القرن الرابع قبل الميلاد، بينما عاش موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر ق.م على وجه التقريب، ولسنا ندري على وجه اليقين، إذا كانت عبرية هذه التوراة قد احتفظت بالسمات الأولى للعبرية التي كان يتحدث بها موسى عليه السلام، هذا إذا افترضنا أن موسى عليه السلام كان يتكلم العبرية أو بلغة سامية أخرى. ومن المعروف أن موسى عليه السلام خرج من مصر ولا توجد شواهد أو أدلة على وجود اللغة العبرية أو أية لغة سامية أخرى في مصر في هذا العصر.

وإذا كنا لا نعرف معرفة يقينية اللغة التي تلقى بها موسى الوصايا العشر، وحتى على افتراض أنها العبرية، فالذي لا شك فيه أنها كانت تختلف اختلافًا شديدًا عن عبرية الأسفار الخمسة (التوراة).

أما أسفار الأنبياء –وهو القسم الثاني من العهد القديم– فتتضمن استمرارًا لتاريخ العبريين بعد وفاة موسى عليه السلام، وغزوهم لفلسطين بقيادة يوشع بن نون.

وتنقسم أسفار الأنبياء إلى جزأين أساسيين: الأنبياء الأول، والأنبياء المتأخرين.

وتوضح أسفار الأنبياء الأول تاريخ العبريين على أنهم الشعب المختار من خلال وجهة النظر الدينية، كما تشتمل على تاريخ مملكتي يهوذا وإسرائيل وسقوطهما. بينما أسفار الأنبياء المتأخرين امتازت بأنها فسرت التاريخ العبري تفسيرًا ذاتيًا.

فقصة غزو فلسطين على يد يوشع ترد في السفر الذي يحمل اسمه، ويستمر سفر القضاة في سرد الأحداث التي أعقبت غزو العبريين لفلسطين في ظل زعامات عارضة لسلسلة من القادة العسكريين عرفوا باسم القضاة.

أما أسفار صموئيل والملوك فتسرد سردًا تاريخيًّا لفترة مملكة بني إسرائيل أيام شاؤول وداود وسليمان، ثم يرد بعد ذلك تاريخ مملكتي يهوذا وإسرائيل من جهة النظر الدينية. كما أن سِفْري أخبار الأيام يوردان صورة مكمِّلة لتاريخ مملكة يهوذا وفي نفس الوقت موازية للمعلومات التي وردت في سفري الملوك، وإن كان هناك تكرار في سرد بعض الأحداث. وتعرض لنا أسفار الأنبياء الأخر أنباء سقوط مملكتي إسرائيل ويهوذا، وبسقوط مملكة إسرائيل من عام ٧٢٢ ق.م ومملكة يهوذا من عام ٥٨٧ ق.م –ينتهي تاريخ العبريين الذي يسرده العهد القديم. أما سِفْرا عزرا ونحميا –على وجه الخصوص– فهما يتعرضان للأحداث اللاحقة، وذلك بسرد أهم المعلومات عن العودة من السبي البابلي.

أما كتب الحكمة (كتوڤيم) –وهو القسم الثالث من العهد القديم– فإنها تعود في معظمها إلى مأثورات شعبية، أغلبها كتابات شعرية الطابع، تقوم على القالب الشرقي الذي يميزه نظام التوازي بين الأجزاء المتتابعة. وأهم هذه الأسفار التي يغلب عليها الطابع الأدبي: مزامير داود، وأمثال سليمان، ونشيد الأناشيد، وسفر إستير، وسفر الجامعة.(١)

والعهد القديم كتاب يشمل سردًا تاريخيًّا فترة لا تقل عن ألفي سنة سبقت الميلاد، وقد ترجم إلى لغات متعددة. وأول ترجمة إلى العربية جرت

(١) اليهود في العالم القديم. مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد. دمشق: دار القلم، ١٤١٦ه (١٩٩٥م). ص ١٣ – ١٥.

بعد انتشار الإسلام في العصر العباسي الأول أو عند منصرم الفترة الأموية، ولا توجد قرائن عن وجود ترجمة عربية من العهد القديم سابقة للإسلام. وقد قامت الحاجة إلى هذه الترجمة العربية حينما اتسعت رقعة الإسلام واللغة العربية حتى ضما الكثير من الشعوب التي تدين باليهودية والمسيحية.(١)

وتحظى التوراة وبقية أسفار العهد القديم بمكانة عالية عند اليهودي قديمًا وحديثًا؛ حيث تعد الأساس الذي يقوم عليه التشريع اليهودي، وإن كان هذا لا يمنع من وجود مواد قانونية وتشريعية في كُتُب أُخرى من العهد القديم مثل سفري يوشع وحزقيال. ولهذا نجد أن التوراة تُسمى أيضًا بكتاب القانون أو الشريعة، وقد زادت هذه الصفة القانونية للتوراة من قداستها، وأعطتها مكانة دينية تفوق تلك التي تتمتع بها بقية كتب العهد القديم، واعترفت بها كل الطوائف اليهودية، ولا تقبل طائفة السامرة غيرها من كتب العهد القديم. وليس هناك اختلاف حول قداسة التوراة وقيمتها الدينية عند اليهود؛ فهي الأساس الذي بنيت عليه الحياة في المجتمع اليهودي، بل هي التي ميزت قديمًا اليهود عن غيرهم من شعوب العالم، وعلى أساسها أيضًا يبني علماء ورجال الدين اليهود تفسيرهم وفهمهم لبقية كتب العهد القديم.(٢)

---

(١) التوراة بين الوثنية والتوحيد. سهيل ديب. بيروت: دار النفائس، ١٤٠١هـ (١٩٨١م). ص ٢٦.

(٢) مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم. محمد خليفة حسن. القاهرة: دار الثقافة العربية، ٢٠٠٢م. ص ١٨ – ١٩.

المبحث الثاني

التلمود

اعتبر الباحثون[١] التلمود أهم مصادر الفكر اليهودي؛ فهو الكتاب الوحيد الذي فسَّر كل معارف اليهود، وأوضح للباحث والقارئْ تعاليمهم وقوانينهم الأخلاقية. وهو أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية؛ إذ يدعو إلى تحطيم كُلِّ العقائد والقيم والحضارات لإقامة مجتمع عالمي صهيوني، يُسيطر على كل دول العالم بكُلِّ الوسائل الممكنة من الغِشِّ والقوة والسلب والخداع والكذب، كما يستبيح دماء الأجناس الأخرى وأموالهم ويعدُّهم في منزلة الحيوانات.[٢]

والمقصود بالتلمود هو: "التعليم أو الشريعة الشفوية. وكان هذا اللفظ يطلق على المشناه، أما الآن فأصبح التلمود يعني المشناه والجمار معًا".[٣]

---

(١) انظر على سبيل المثال:
مفاهيم تلمودية؛ نظرة اليهود إلى العالم. عبد المجيد همو. دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٣م.
أبواق التلمودية العالمية. محمد محلا. دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ١٤٣١ه (٢٠١٠م).
إسرائيل والتلمود؛ دراسة تحليلية. إبراهيم خليل أحمد. القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤١٠ه (١٩٩٠م).
المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية. أنور الجندي. القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٦ه (١٩٧٦م).
معركة الوجود بين القرآن والتلمود. عبد الستار فتح الله سعيد. دون ناشر. ط ٢ / ١٤٠٢ه.

(٢) التطرف اليهودي؛ تاريخه – أسبابه – علاماته. عبد الراضي محمد. القاهرة: مكتبة التوعية الإسلامية، ١٤١٣ه (١٩٩٣م). ص ٥٧.

(٣) إسرائيل والتلمود؛ دراسة تحليلية. إبراهيم خليل أحمد. ص ٣١.

وليس هناك تعريف للتلمود متفق عليه؛ لأنه من الصعوبة بمكان تعريف التلمود تعريفًا مانعًا.(١)

وبالبحث عن أصل كلمة "تلمود"، فقد تبين لي أن كلمة التلمود (Talmud) مستخرجة من كلمة عبرية تُنطق: ليمُّود (Limmud)، التي تعني تعاليم. وبالمجاز المرسل تعني هذه الكلمة الكتاب الذي يحتوي على التعاليم (اليهودية)، التي تُدعى بدورها اليوم، ومنذ زمن طويل، باسم "التلمود"؛ أي الكتاب العقائدي الذي وحده يُفسِّرُ ويُبسِّطُ كُلَّ معارف اليهود وتعاليمه.(٢)

ولعل من أسباب صعوبة وجود تعريف موحد للتلمود –هو مكونات التلمود نفسها "فالمادة التلمودية واسعة جدًّا وشديدة التنوع والتشّعب، تختلط فيها الأحكام الشرعية بالقصص والحكايات والنوادر، والمعلومات التاريخية إلى جانب الأساطير والخرافات والأقوال المأثورة. كما أنَّ الحيِّز الزمني الذي تشغُلُه موادُ التلمود وتمتدُّ عبره إلى حدود ألف سنة –يرجع نصفها إلى فترة ما قبل الميلاد وعقد النصف الثاني حتى نهاية القرن الخامس الميلادي".(٣) ولعل هذا هو ما جعل المفكر اليهودي سلومون شختر (Solomon Schechter) يقول إن "الإجابة عن سؤال (ما هو التلمود؟) ضرب من المحال". وعلل ذلك بقوله: "إن التلمود أثر شديد التنوع والتفكّك والتشعُّب في

---

(١) انظر: مفاهيم تلمودية؛ نظرة اليهود إلى العالم. عبد المجيد همو. ص ١٧. فقد أورد أقوال الباحثين في ذلك.

(٢) فضح التلمود؛ تعاليم الحاخامين السرية. آي. بي. برانايتس (إعداد: زهدي الفاتح). بيروت: دار النفائس، ط ٤ / ١٤١٢ه (١٩٩١م). ص ٢١.

(٣) التلمود والصهيونية. أسعد رزوق. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٣٩٠ه (١٩٧٠م). ص١٦.

عناصره، وهذا ما يحولُ دون تعريفه بصورة موجزة ومقتضبة، أو حتى مجرد وصفه على نحو تقريبي".[١]

وكما أن هناك خلافًا حول تعريف التلمود، فالأمر ذاته نجده عند تحديد زمن تأليفه وكتاباته وأقسامه.[٢] والمقام هنا ليس مقام تفصيل واستطراد وترجيح لرأي على آخر، وتفي في هذا المقام الإشارة عن طويل العبارة.

وقد ذكر الباحثون أن التلمود ينقسم إلى قسمين:

١- المشناه (Mishnah): وهي التعاليم الشفهية التي جُمعت على يد بعض الأحبار، وتعني التكرار، وغرضها الإيضاح وتفسير ما التبس في شريعة موسى. وينظر اليهود إلى المشناه بوصفها الجزء المهم الرئيس من التلمود، ويطلق عليها أيضًا القانون الشفهي الذي نقله موسى إلى خليفته يوشع بن نون، والذي نقله بدوره إلى الرُسُل الذين جاءوا من بعده.

٢- الجمارا (Gemarah): وهي شرح الأحبار على المشناه بعد أن وصلت إلى صورتها الرئيسة، فعلقوا عليها ووفقوا بين متناقضاتها، ثم أطلقوا على جهودهم تلك اسم الجمارا وتعني بالعبرية "مكتمل".

---

(١) نفسه. ص ١١١.

(٢) طرح هذا الموضوع بتوسع أسعد رزوق في كتابه "التلمود والصهيونية"، ص ١١٨ – ١٣٧.

وهناك تلمودان:

أ- التلمود الفلسطيني: يسميه اليهود الأورشليمي، وقد كُتب في فلسطين (طبرية) باللغة الآرامية الغربية.

ب- التلمود البابلي: كُتب في العراق بالآرامية الشرقية؛ وقد احتفى اليهود كثيرًا بالتلمود البابلي، ولم يعتدوا كثيرًا بنسخة القدس؛ نظرًا إلى غموضها وشدة اختصاراتها. وكانت أول طبعة للتلمودين الفلسطيني والبابلي بعد ظهور وسائل الطباعة في إيطاليا في حدود عام ١٥٢٠م.

ومن أشهر طبعاته: طبعة أمستردام عام ١٦٤٤م، وطبعة وارسو عام ١٨٦٣م، وطبعة براغ عام ١٨٣٩م. ويبلغ التلمود باللغة الانجليزية بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته ستة وثلاثين مجلدًا، وقد نقل الجزء الأول منه إلى اللغة العربية سنة ١٩٠٩م.[١]

أما إذا انتقلنا إلى تبيان مكانة التلمود عند اليهود، فسنجد أنه يحتل مكانة عالية تفوق مكانة التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام. ويرجع ذلك إلى أن انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود -وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر، مما جعل أكثريتهم الساحقة تنظر إليه كأنه السُلطة العليا-، يتمثل في أنهم أنزلوا التوراة مرتبة ثانية بعد التلمود. فقد قال أحد حاخاماتهم: "إن من يقرأ التوراة بدون المشناه والجمارا ليس له إله". وقال آخر: "من لا يؤمن بانتساب التلمود للإله، فلا نصيب له من الجنَّة". ويقول

(١) سِفْر التاريخ اليهودي؛ اليهود: تاريخهم، عقائدهم، فرقهم، نشاطاتهم، سلوكياتهم، الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية. رجا عبد الحميد عرابي. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ١٤٢٥ه (٢٠٠٤م). ص ٣٤٦. بتصرف.

حاخام آخر: "الإله يستشير الحاخامات على الأرض عندما تواجهه مسألة عويصة، لا يمكن حلها في السماء، وإنه يجب الالتفات إلى أقوال الحاخامات أكثر من الالتفات إلى شريعة موسى".[١]

هذه بعض النصوص التي وردت عن حاخاماتهم المعبِّرة عن مكانة التلمود في الفكر اليهودي، ولهذا أصبح التلمود موضع التقديس وصار كما يقول شاينجان: "من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، وليس كذلك من احتقر أقوال التوراة. ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط؛ لأن أقوال علماء التلمود أفضلُ مما جاء في توراة موسى". وقد جاءت وصايا الحاخامات وعلماء اليهود مطابقة لهذا المبدأ؛ فقال الرِّبي بشاي: "لا يلزم أن تختلط بمن يدرس التوراة والمشناه دون الجمارا".

ونَفثَ هؤلاء الحاخامات في روع أبنائهم مزيدًا من النصوص التي تعظم مكانة هذا الكتاب البشري، فقالوا: "إن الله لا شغل له في الليل غير تعاليم التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء".[٢]

إن هذه المكانة التي يحظى بها التلمود والتي وقفنا على جزء منها، انعكست على مكونات المجتمع الإسرائيلي: أحزاب، ومنظمات، وهيئات، وجمعيات دينية وعلمانية. فعلى الرغم من أنه مادة أساسية في المعاهد والمدارس الدينية اليهودية التابعة للكيان الصهيوني، فإن الكثير من العلمانيين يقبلون على دراسته. كما تنظم وزارة المعارف الإسرائيلية سنويًّا مسابقة في حفظ نصوص التلمود، يشارك فيها عشرات الآلاف من طلاب المدارس الثانوية،

---

(١) في قبضة الحاخامات؛ تعاظم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية. صالح محمد النعامي. ص ٤٧.

(٢) التطرف اليهودي؛ تاريخه – أسبابه – علاماته. عبد الراضي محمد. ص٥٦.

وفي كثير من الأحيان فإن الفائزين في هذه المسابقات –هم في الأغلب طلاب ولدوا في عائلات علمانية؛ حيث إن الذي فاز بمسابقة حفظ التلمود عام ٢٠١٠م –هو النجل الأصغر لرئيس وزراء الكيان الصهيوني "بنيامين نتنياهو".[١]

وفي القدس توجد أكاديمية تلمودية تؤهل طلابها ليصبحوا مستعدين للخدمة في الهيكل الكبير عند إعادة بنائه.[٢]

إن كل ما نراه اليوم من عنف وقتل وتشريد للتلمود نصيبٌ منه، فهو الذي قال لليهود: "يجب إلقاء المهرطقين والخونة والمرتدين في البئر، والامتناع عن إنقاذهم".[٣] والأمثلة على ذلك كثيرة، ليس المقام هنا مقام بسط لها.

---

(١) في قبضة الحاخامات؛ تعاظم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية. صالح محمد النعامي. ص ٤٨.
(٢) الأصولية اليهودية؛ فرنسا – إسرائيل – الولايات المتحدة. إيمانويل هيمان (ترجمة: سعد الطويل). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م. ص ٩١.
(٣) فضح التلمود؛ تعاليم الحاخامين السرية. آي. بي. برانايتس. ص ١٣٩.

المبحث الثالث

بروتوكولات حكماء صهيون[(١)]

(١) شكك عدد من الباحثين في صحة البروتوكولات ونسبتها لليهود، مثل: عبد الوهاب المسيري في كتابه البرتوكولات واليهودية والصهيونية، وكذلك حسن ظاظا في كتابه الشخصية الإسرائيلية (ص ٩١ – ١٠٠)، وموفق صادق العطار في كتابه خفايا الصراع (ص ٢٩١). وهذا التشكيك بني على كلام بعض الباحثين من اليهود وغيرهم، مثل: أدمون فيلبج وغيره.

وعلى تقدير صحة هذا الادعاء، فإن العدائية الموجودة في التوراة والتلمود والبرتوكولات واحدة، كذلك العنصرية وكره الآخر في الثلاث واحدة. وثمة أمر ثالث تلتقي فيه هذه المصادر –هو الإفساد في الأرض والقتل وإيذاء الآخرين. ومن أمثلة ذلك: جاء في التوراة وصية الرب لبني إسرائيل: "لاَ تُشْفُقْ أَعْيُنُكُمْ وَلاَ تَعْفُوا. اَلشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ، اقْتُلُوا لِلْهَلاَكِ". (سفر حزقيال ٩: ٥ – ٦).

وفي التلمود أيضًا: "الخارج عن دين اليهود حيوان على العموم فسمِّه كلبًا أو حمارًا أو خنزيرًا. والنطفة التي هو فيها نطفة حيوان". (التلمود ١٣ – ١٦ / ٢).

وفي البروتوكول التاسع: "سنتولى بأيدينا حينما يحين الوقت تنفيذ الأقضية والأحكام فنذبح من نذبح ونعفو عمن نعفو ونحن ذوو القيادة، إننا سنحكم بالقوة". برتوكولات حكماء صهيون. ج (١). دمشق: دار طلاس، ١٩٤٨م.

ولعل هذا ما جعل فكتور مارسدن يقول في كتابه "برتوكولات حكماء صهيون": "بعد اطلاع ودراسة للبرتوكولات وكتب أخرى تتناول موضوع اليهودية توصلت إلى قناعة مفادها: أنَّ هذه البروتوكولات حقيقية، وأن الخطة السرية لإيجاد حكومة يهودية عالمية التي ورد وصفها في هذه البروتوكولات –خطة موجودة فعلًا". برتوكولات حكماء صهيون؛ الخطر الصهيوني. فكتور مارسدن (ترجمة: أحمد علي فياض). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م. ص ٢٠٣.

وقد اعترف يهود بصحة هذه البرتوكولات، مثل الكاتب النمساوي آرتو ترييبتش في كتابه (الروح الألمانية واليهودية) ص ٧٤. انظر: برتوكولات حكماء صهيون؛ الخطر الصهيوني. فكتور مارسدن. ص ٢٠٤. كما أن موفق صادق العطار مع ميله إلى أنها غير حقيقية، لكنه أكد أن ما جاء فيها موافق لما جاء في التوراة والتلمود.

يرى بعض الباحثين[١] أن العهد القديم والتلمود هما فقط مصدرا الفكر اليهودي؛ ولذا لا يذكرون البرتوكولات كأحد المصادر الرئيسة لهذا الفكر، بينما يرى آخرون[٢] أن البروتوكولات والتاريخ اليهودي وكتاب هرتزل كلها مصادر للفكر اليهودي تضاف إلى المصدرين الرئيسين: العهد القديم والتلمود.

وإذا كان ستيفان غورانوف (Stefan Goranov)[٣] يرى أن المعتقدات التي جاءت بها التوراة قد تركت أثرًا عميقًا في الفكر الصهيوني، فإن رواد الصهيونية يرون أن التربية الدينية هي التي صانت نقاء اليهود العنصري؛ فيقول المفكر الصهيوني العلماني أحد هاعام (Ahad Ha'am): "لقد بقينا ثلاثة آلاف عام، ولم يكن بوسعنا أن نكون غير ذلك، لأن هناك قوة عليا ربطتنا باليهودية".[٤] وهذا دليل على الصلة الوثيقة بين الحركة الصهيونية التي أوقد شرارتها هرتزل عام ١٨٩٧م معتمدة على البروتوكولات التي نحن بصددها وبين المصدرين الرئيسين.

نعم، إننا نعترف بحقيقة أن البروتوكولات ليست مصدرًا تشريعيًّا لليهود كالتوراة والتلمود، لكنها خطة عملية لتمرير الفكر اليهودي في هذين المصدرين.

(١) مثل: سِفْر التاريخ اليهودي؛ اليهود: تاريخهم، عقائدهم، فرقهم، نشاطاتهم، سلوكياتهم، الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية. رجا عبد الحميد عرابي. ص٣٢١.
(٢) مثل أساتذة قسم الأديان في جامعة الأزهر: د. عبد الله بركات، ود. حفني بكري، ود. جمال السيد –في كتابهم: دراسات في اليهودية. القاهرة: دار التقوى، ١٤٢٨ه. ص ٣٦.
(٣) أستاذ التاريخ في كلية العلوم البلغارية.
(٤) في قبضة الحاخامات؛ تعاظم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية. صالح محمد النعامي. ص ٦٩.

ولفظة البروتوكولات لها عدة معان، فقيل: مسودة الاتفاق أو المعاهدة أو الوثيقة بالمعنى الرسمي عند الحكومات، وقيل أيضًا: مضابط الصيغ التي تبنى عليها الوثائق. وبذلك تكون البروتوكولات محاضر الجلسات التي تمت في مدينة بازل السويسرية عام ١٨٩٧م. أما حكماء صهيون فهم أصحاب الرأي والنفوذ من اليهود، وصهيون هو جبل غرب القدس موجود إلى اليوم. وعدد هذه البروتوكولات أربعة وعشرون بروتوكولًا، رسمت خطط اليهود للسيطرة على العالم خلال مائة عام.

وهناك عدة روايات حول كيفية انتشار هذه الوثائق والمحاضر، ولن نتوقف عندها لبعدها عن الهدف الذي نسعى إليه؛ وهو بيان أثر هذه البروتوكولات في بناء فكر اليهود وشخصيتهم، ورسم علاقتهم بالآخرين من الأغيار (الجوييم)، وبيان أن نظرتها للأغيار هي نفس النظرة الموجودة في التوراة وفي التلمود. وعندما يتبعها القارئ يجد أنها لا تخرج عن التعاليم المقدسة عند اليهود، بل يمكن مقارنة كل فكرة أو نص في البروتوكولات بمثيله في "التوراة والتلمود" أو في أقوال حاخاماتهم وزعمائهم. فلا غرابة أن يكون هدفها هو نفس الهدف الذي يهدف له الكتابان المقدسان عند اليهود: التوراة والتلمود.

أما أهداف البروتوكولات فقد لخصها بعض الباحثين فيما يلي:

الهدف الأول: محاربة الأديان بكل وسيلة ممكنة؛ لأنها العائق الوحيد لسيطرتهم على العالم.

الهدف الثاني: التمكن من الهيمنة على عصب الحياة والأمم والشعوب؛ ألا وهو المال والاقتصاد.

الهدف الثالث: السيطرة على الإعلام بكل أشكاله وألوانه.

الهدف الرابع: محاربة القيم والأخلاق في المجتمعات.

وجعلوا لهذه الأهداف وسائل تتحقق من خلالها الأهداف، وهي:

(١) نشر الإلحاد والتحلل من كل الالتزامات الدينية حتى لا يبقى إلا الدين اليهودي.
(٢) توجيه اهتمام الناس إلى اللهو والإثارة الجنسية والفساد والرذيلة.
(٣) نشر المنازعات، والحروب الطائفية والقومية، والفوضى، حتى المجاعات والأوبئة.
(٤) قتل وذبح واغتيال كل من يقاوم مخططات اليهود.
(٥) الاعتماد على الجاسوسية، واختيار الجواسيس من مختلف الطبقات والأجناس، ومن رجال الإدارة.
(٦) استعمال العنف والإرهاب للتسلط على الأغيار.
(٧) يجب أن يتوفر في الحكام الدهاء والمكر والخداع.
(٨) تسخير منظمات الأغيار، بعد انتساب إليها، والسيطرة عليها لمصلحة اليهود.(١)

أما عن مكانة هذه البروتوكولات عند اليهود، فلا ريب أن اليهود أهل مكر وخداع وتدليس؛ إذ أنكروا أن تكون هذه البروتوكولات لهم، ولكنهم في الوقت نفسه منعوا الناس من الاطلاع عليها، وهددوا من ينشرها، وصادروا ما وجدوا منها بالأسواق بالشراء. وعندما نشرت مجلة "فرنسا القديمة" كتابًا

---

(١) أضواء على بروتوكولات حكماء صهيون (النصوص الكاملة)؛ دراسة تحقيقية تاريخية معاصرة. رجا عبد الحميد عرابي. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م. ص ٦٠.

بعنوان: "مؤامرة اليهود" وإلى جانبه البرتوكولات، حاول اليهود منعها من ذلك، فلما أصرَّت –أحرقوا مطبعتها.

وهذا كله دليل على أهميتها ومكانتها عندهم، دون أن نجد لهم اعترافًا بأنها توصيات لمؤتمر بازل أو مقترحات من هرتزل أو من أحد هاعام، على الرغم من أن بعض الباحثين يرجحون أنها مقترحات لمؤتمر بازل.

الفصل الثاني

أثرها على الشخصية اليهودية ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: أثرها على الشخصية اليهودية قديما

المبحث الثاني: أثرها على الشخصية اليهودية حديثا

المبحث الأول: أثرها على الشخصية اليهودية قديما

أثَّرت مصادرُ الفكر اليهودي على الشخصية اليهودية قديماً, ويتضح ذلك لكل من درس الشخصية اليهودية وسبرها عبر التاريخ, والباحث في هذين الكتابين اللَّذينِ يتداولهما اليهود ويقدسونهما، يقف على الجذور التي يستوحون منها أحداثهم وأخلاقهم وسلوكهم، والتي نَبَتَتْ أصولها ثم غُذيت بالاضطهاد والحرمان والكبت؛ فكان من آثارها العجيب والــمُذهل من الصور والسَّوآت والتناقضات التي تمثلت في الأنانيةِ المفرطة والرغبة الشديدة في التميُّز والعُزلة، وتعطُّشهم الشديد لسفك الدماء، وتدميرِ كِيان الغير بالعُنف والغدرِ والخيانة والاحتيال والخداعِ والتآمر، وتبرير كل وسيلة مهما كانت غير شرعية وغير إنسانية، وغير أخلاقية وجحود المعروف ونكران الجميل ومقابلة الإحسان بالإساءة، والافتراء على الله ورسُله وتحريف كُتُبه، والاحتيال على شرائعه، وتكذيب رسُله وقتلهم؛ مع اللجَّاجة، والصفاقةِ، والمكابرة، والشُّح، والحسد، والارتكاس في مختلف الآثام والفواحش، مع الهلع والجزع، والجُبن، والانهيار أمام الأخطار والصدمات.[1]وقد تجلَّى هذا الأثرُ في قضايا رئيسة عند اليهود قديماً وحديثا لكنني أختزل ذلك لضيق مساحة البحث في اثنتين فقط وأستشهدُ عليهما بشواهد الماضي والحاضر وهما:

أ- فكرة الاصطفاء والاختيار

ب- فكرة الأرض الموعودة

(١) الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم واستطراد إلى الموقف الراهن بين العرب واليهود. محمد عزة دروزة. دمشق: مكتبة أطلس، ١٣٨٨ه (١٩٦٧م). بتصرف.

أما الأولى: فكرة الاصطفاء والاختيار فقد تبني اليهود قديماً وحديثاً فكرة الاصطفاء والاختيار وأنهم شعب الله المختار مستندين في ذلك على نصوص التوراة والتلمود, ففي التوراة" لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ "[١] وليس هذا النص الوحيد في التوراة الذي يؤسس لنظرية الاصطفاء والاختيار للشعب اليهودي بل هناك نصوص مقدسة أخرى في شريعة موسى ففي سفر اللاويين: أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ...وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي [٢]وفي سفر التثنية: انتم أولاد للرب إلهكم..وقد اختارك الرب لتكون له شعباً خاصاً, فوق جميع الشعوب"[٣]والنصوص حول هذا المعنى كثيرة.

أما في التلمود فيقول الرِّبِّي عقيبا في المشنا في وصايا الأباء٣/١٨: بنو اسرائيل أحباءُ الله لأنهم يُدعون أبناءه"[٤] ومن النصوص التي تُكرِّسُ ذلك التصور وتُرَسِّخُ ذلك المعتقد في التلمود أيضا: أيها اليهود إنكم من بني البشر لأنَّ أرواحكم مصدرُها روحُ الله وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرُها الروحُ النَّجِسة"[٥]

---

(١) سفر التثنية الإصحاح٧ :٦

(٢) سفر اللاويين الإصحاح٢٠ :٢٤-٢٦

(٣) سفر التثنية الاصحاح ١٤

(٤) أبحاث في الفكر اليهودي حسن ظاظا ص:١١١دار القلم دمشق ط/١ ١٤٠٧هـ العنصرية اليهودية وجذورها في المجتمع الإسلامي والموقف منها د. أحمد عبد الله الزغيبي ١/٧٢ نشر مكتبة العبيكان الرياض ط/١٤١٨١هـ

(٥) الكنز المرصود في قواعد التلمود ترجمة يوسف نصر الله ص٧٥ دار القلم دمشق ط/٢ -١٩٩٩م

ومن هذا النصوص وأمثالها "جاء التقسيم اليهودي لبني الإنسان- مذ بدأوا تحريف ديانتهم في أثناء فترة السبي البابلي فيما بين عامي٥٨٦-٥٤٨ق.م إلى قسمين:

- اليهود وهم عند أنفسهم (شعب الله المختار)
- الأميين (الجوييم) وهم غير اليهود من البشر[١]

"إن اعتقاد اليهود في اختيار الرب لهم ليس مجرد مفخرة يتشدقون بها بل هو برنامج فبِهِم يُعاقبُ اللهُ الأممَ الأخرى, وهم الذينَ يبقونَ وحدهَم في آخرِ الزمانِ مُتسلطينَ على رقابِ العالم ويسمونَ أنفسهم تارةً الشعبَ الأزلي وتارة الشعبَ الأبدي"[٢]

وقد حلل عبد المجيد همو بعض النصوص التلمودية الواردة في هذا الشأن، وذكر أن اليهود يرون أنفسهم أبناء يهوه، وهم جزء منه؛ ولهذا فهم عزيزون عليه عزة لا متناهية. وقد خلص من النصوص التي اطلع عليها إلى ما يلي:

١.إن اليهود أحب عند يهوه (إلههم) من الملائكة، وهم من عنصر يهوه كالولد من عنصر أبيه.

٢.إن يهوه قد منحهم سلطة مع كل الشعوب وميزهم، فإسرائيل ابنه البكر.

٣.من صفع يهوديًّا كَمَنْ صفع الإله ذي العزة.

---

(١) العنصرية اليهودية وجذورها في المجتمع الإسلامي والموقف منها د. أحمد عبد الله الزغيبي ٧٢/١ نشر مكتبة العبيكان الرياض ط/١٤١٨هـ

(٢) الشخصية الاسرائيلية حسن ظاظا ص٣٨ بتصرف نشر دار القلم دمشق ط/١ - ١٤٠٥هـ

٤.لولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض ولما هطلت الأمطار ولما نبتت الزروع ولماتت البشرية والحياة.(١)

والدارس للتوراة والقارئ لنصوصها، يُدرك أنهم لا يستحقون هذا الشرف الذي تمنوه من قبل؛ فكيف يكونون شعبًا مختارًا لله وهم يتهمون المصطفين الأخيار من الأنبياء والرسل بشرب الخمر (٢) والزنا بالمحارم.(٣)

والمرء يتساءل كيف يكونوا شعبًا مختارًا من قبل الله، وهم يقولون عنه: "صَعِدَ دُخَانٌ مِنْ أَنْفِهِ، وَنَارٌ مِنْ فَمِهِ أَكَلَتْ"،(٤) وأنه ضعيف القدرة،(٥) ويخطئ،(٦) وقالوا عنه: فقير،(٧) ويداه مغلولة،(٨) وزعموا أنهم أبناء الله، فرد الله عليهم في سورة المائدة-١٨: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) وقد قال القرطبي في تفسير هذه الآية: "أَيْ كَسَائِرِ خَلْقِهِ يُحَاسِبُكُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ".(٩) وقد بين الله تعالى في سورة الحجرات أنه ليس بينه وبين أحد نسبًا، ولا فضل لعرق على عرق، وإنما

---

(١) مفاهيم تلمودية؛ نظرة اليهود إلى العالم. عبد المجيد همو. ص ١٩١.
(٢) سفر التكوين (٩: ٢١).
(٣) سفر التكوين (١٩: ٣٠ – ٣٨).
(٤) المزامير (١٨: ٨).
(٥) سفر التكوين (٢: ٢ – ٣).
(٦) صموئيل الأول (١٥: ١٠ – ١١).
(٧) الآية (١٨١) من سورة آل عمران.
(٨) الآية (٦٤) من سورة المائدة.
(٩) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي تحقيق: عبد الله التركي ومحمد رضوان بيروت: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧هـ ج/٧-٣٨٩

الفضل بالتقوى؛ حيث قال تعالى في سورة الحجرات -١٣: يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ هذا هو الميزان لكل البشر: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وبقدر التقرب له جل في علاه -يكون القرب منه.

ومن مخرجات هذه النزعة العنصرية عند اليهود التي تغذت بنصوص التوراة والتلمود الحقد على البشرية قاطبة وقد أشرت لذلك في بحثين مستقلين الأول (الآخر في اليهودية- العهد القديم نموذجاً) والثاني (الآخر في اليهودية التلمود نموذجاً) ومن شواهد ذلك حقدهم على نبينا محمد صلى الله وسلم وبارك عليه فقد ذكر ابن هشام في السيرة عن صفية بنت حيي قالت :"لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِ أَبِي وَعَمِّي أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْهِمَا مِنِّي ، لَمْ أَلْقَهُمَا قَطُّ مَعَ وَلَدٍ لَهُمَا أَهَشُّ إِلَيْهِمَا إِلا أَخَذَانِي دُونَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُبَاءَ نَزَلَ قَرْيَةَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، غَدَا إِلَيْهِ أَبِي وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنُ أَخْطَبَ مُغَلِّسَيْنَ ، فَوَاللَّهِ مَا جَاءَانَا إِلا مَعَ مَغِيبِ الشَّمْسِ ، فَجَاءَانَا فَاتِرَيْنِ كَسْلانَيْنِ سَاقِطَيْنِ ، يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى ، فَهَشَشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَوَ اللَّهِ مَا نَظَرَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، فَسَمِعْتُ عَمِّيَ أَبَا يَاسِرٍ ، يَقُولُ لأَبِي : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ، قَالَ: تَعْرِفُهُ بِعَيْنِهِ وَصِفَتِهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ، قَالَ: فَمَاذَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ، قَالَ: عَدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيتُ".(١)

الثانية : فكرة الأرض الموعودة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام (ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢ / ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م). ج (١)، ص ١٥٨ - ١٥٩.

وأصل هذه الفكرة ومنطلقها النصوص التي وردت في التوراة والتلمود وغيرهما والتي أعطت الحق لليهود في أرض فلسطين بتفويض من الله تبارك وتعالى ففي سفر التكوين: اذهب من أرضك, ومن عشيرتكَ من حيث بيتُ أبيكَ إلى الأرض التي أُريكَ فأجعلكَ أمةً عظيمةً, وأُباركَكَ, وأُعظِّمُ أسمكَ, وتكونُ بركةً, وأباركُ مباركيكَ ولاعنُكَ ألعنه, وتتباركُ فيك جميعُ قبائل الأرض فذهب أبرام كما قال الربُ وذهب معه لوط"[١] وثمةَ نصٌ آخر يزيدُ الأمر وضوحا "وقال الرب لأبرام ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد" [٢]

والسؤال الذي يطرح نفسه:" هل صحيح أن الله قد ورَّثَ فلسطين لليهود في وعد دائم لا يقبل النقض؟ وهل هذا الوعدُ جاء في التوراة والإنجيل؟

إنَّ التوراة التي بين أيدينا اليوم هو تجميع لثقافات شعوب منطقة الشرق القديم وأساطيره وتاريخه من وجهة نظر يهودية.. ولو رجعنا إلى هذه التوراة التي تزعمُ أن أحبار اليهود وحاخاماتهم قد كتبوها وصنفوها أثناء السبي في بابل نرى أن الوعد بالأرض كان مشروطاً بالطاعةِ لله ! وعلى ذلك فلا يحق لليهود أنْ يَدَّعوا أنه يمكنهم العيشَ في الأرضِ إلى نهاية العالم إذا لم يتقيدوا بشرط الطاعة لله حسب التوراة الذي يعتمدون هم عليه"[٣]

---

(١) سفر التكوين الإصحاح ١٢ :١-٦

(٢) سفر التكوين الإصحاح ١٣ :١٤-١٥

(٣) الأصوليون اليهود بين أساطير التوراة والعلم المعاصر ص: ٣٥ د.منى إلياس نشر دار الفكر المعاصر بيروت ط٢/٢٠٠٣م

وقد ورد في التوراة وتحديداً في سفر التثنية[١] أن موسى عليه السلام عند شرحه الشريعة لبني اسرائيل بين لهم العقوبات الناتجة عن معصية الله وكرر هذا التحذير في سفر الملوك الأول[٢] وبين لهم قول الرب"إن كنتم لا تحفظون وصاياي فإنني أقطع اسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها"[٣]وعندما خالفوا أمر الله تعالى عاقبهم بما وعدهم به فقد احتل الآشوريون المملكة الشمالية وبعد مئة سنة تقريبا احتل "نبوخذ نصر" المملكة الجنوبية وهجَّ معظمُ السكان إلى أرض بعيدة ثم عاد فأتى البابليون بعده بسبعين عاماً مرة ثانية ليسبوا ما تبقى من السكان وقد ورد في سفر أرميا [٤] : وهكذا قال إله اسرائيل :أُبَدِّدهم في أمم لم يعرفها هم ولا أباؤهم وأُطلِقُ وراءهم السيف حتى أفنيهم"[٥]

هذه بعض النصوص التي وردت في التوراة حول أرض الميعاد , أما التلمود "فإذا كان الوعد الإلهي في العهد القديم أمرا تلقائيا قام به الإله لسر في نفسه ، إلا إننا نكاد ندرك عن طريق نصوص العهد القديم الغرض الأساس منه ، وهو (أداء فريضة السماوية معينة) فإنه الفكرة (الوعد الإلهي) في التلمود أخذت تتطور تتطوراً ملحوظًا لتتحول من مجرد هدية (منحه) من الإله إلى حق من حقوق الشعب اليهودي.. لا بل اصبحت حقا مقدسا .

ولفهم طبيعة هذا التطور لابد من الرجوع إلى الفكرة اليهودية عن (الحلولية الإلهية) في الشعب و الأرض وهو ما يعبر عن بالثالوث الحلولي (الإله ، و

---

(١) ٤: ٢٥-٢٧

(٢) ٩: ٦-٧

(٣) المرجع نفسه ٩: ٦-٧

(٤) سفر أرميا :٩:١٥ -١٦

(٥) الأصوليون اليهود. منى الياس ص:٣٦-٣٧ بتصرف

الشعب ، و الارض) فتقوم وحدة مقدسة بين الأرض والشعب لحلول الإله فيهما ، وتوحده معهما ، إذ يحل الإله في الشعب ، فيكتسب طابعا مقدسا فالشعب العبري سمي بـــ (بني إسرائيل) بعد أن صارع يعقوب (عليه السلام) (الله) .

ثم سمي بعدها (إسرائيل) أي (بطل الله) وأصبح العبرانيون (اسرائيليين) أي (المدافعين عن الله) وبذلك اصبح الشعب امتدادا لله في الأرض ، وحلول هذه (المادة الإلهية) في الشعب اليهودي هو ما يميزه عن غيره من الشعوب الأولى ، وجعل الناس (عبيدة لهم) .

فـــ (الشعب المختار هم اليهود فقط) ، (تتميز أرواح اليهود عن باباقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده) ، وهكذا مثلما يحل الإله في الشعب ليصبح شعبا مختارا ، فإن هذه الحلولية تبدى في إضفاء القداسة على الإرض لتصبح مقدسة ، ومركزا للكون نتيجة الحلول الإلهي فيها .

ولذا ، فإن (أرض إسرائيل) سميت بـــ (أرض الرب) ، وهي الأرض التي يرعاها الإله ((أرض يعتني بها الرب إلهك ، عينا الرب الهك عليها دائما من اول السنة الى أخرها)) وهي (الأرض المقدسة) كما جاء في التلمود (الواحد القدوس تبارك اسمه قاس جميع البلدان بمقياسه ولم يستطيع العثور على آية بلاد جديدة بأن تمنح لجماعة إسرائيل سوى أرض إسرائيل) ، بل آخذ ارتباط اليهودي بأرضة الموعودة تعبير عن تمييزه عن العالميين ، وعن رغبة اليهود كأمة روحيه في أن (تكشف طبيعة الله للعالم) ، وأن اليهودي في الأرض المقدسة يصبح قادرا على قبول الحقيقة الإلهية (هناك في تلك الارض يكون الذهن مهينا لأدراك معنى نور ، النبوة ، والاستنارة بإشعاع الروح المقدسة)

ويتكرر (الوعد الإلهي) بالأرض في التلمود اذ جاء فيه : الله القدوس تبارك اسمه ، أعطى بني اسرائيل ثلاث هبات ثمينة ... وهي التوراة ، وأرض اسرائيل ، والحياة الاتية) ، كما أن تعاليم التوراة لا يمكن أن تنفذ كاملة إلا في الإرض المقدسة ، ويذهب التراث التلمودي الى تعميق الارتباط اليهودي بالأرض عن طريق إشارته الى ان ؛ العديد من شعائر الديانة اليهودية ارتبطت بالأرض ارتباطا كبيرا ، فبعض الصلوات من أجل المطر والندى تتلى بما يتفق مع الفصول في (أرض الميعاد) ، كما أن شعائر السنة السبتية (سنة شميطاه) ، والشعائر الخاصة بالزراعة ، وبعض التحريمات الخاصة بعدم الخلط بين الانواع المختلفة من النباتات والحيوانات لا تقام إلا في الارض المقدسة ، إذ نرى أن الدافع وراء الاحتفال بـــ (سنة شميطاه) دافع ديني / قومي ، فهو من ناحية تنفيذ لكلمة الرب ، وتعبير عن الإيمان بأن الإرض هي ملكه وحده يهبها من يشاء ، ولكنه من ناحية اخرى تأكيد للرابطة العميقة التي تربط اليهودي بالأرض المقدسة كما انه ينطوي على إسقاط لحق أي انسان في امتلاك هذه الأرض حتى لو عاش فيها مئات السنين ، ولان الخالق يصطبغ بصبغة قومية يهودية نرى أن ملكيته للأرض هي في الواقع تأكيد لملكية اليهود الأزلية لها ، وهكذا نرى أن الدافع الديني والروحي هو ذاته الدافع القومي ، بل ان الدافع الديني ما هو إلا وسيلة لإضفاء طابع أزلي مقدس على القومية اليهودية . وتشير كثير من النصوص التلمودية إلى مكانه (الإرض) ، وتضعها في درجة تضاهي الايمان بالله ، مثل : من يعيش خارج أرض الميعاد فهو كمن يعبد الأصنام) ، وكذلك : ان العيش في أرض إسرائيل يعادل الوصايا الإلهية الأخرى) ، وهكذا تعمق التيار الحلولي ، وتعمق الارتباط اليهودي بالأرض ، فنشا ما يسمى ب (لاهوت الأرض المقدسة) وهذا التطرف في الطرح لفكرتي

الأرض ، والشعب) يعزوه (التلمود) بأنه : إرتباط صوفي لا يمكن للجوييم " فهمه ، (فأرض إسرائيل ليست شيئا منفصلا عن روح الشعب اليهودي ، بل هي جزء من وجوده القومي ، و مرتبطة بحياته ، وبكيانه الداخلي ، إرتباطا عضويا ، والعقل البشري في أسمى مراتبه لا يستطيع أن يدرك معنى قدسية أرض إسرائيل الفريدة . ولا يستطيع أن يحرك الحب الكامن في أعماق الشعب اليهودي نحو هذ الارض . . . . إن ما تعنيه أرض إسرائيل يمكن فهمه فقط من خلال روح الرب المنتشرة في الشعب اليهودي والتي تشع بتأثيرها على كل العواطف السليمة "(١)

---

(١) أرض الميعاد في الفكر الإسرائيلي .عبيرسهام مهدي ص٢٢ الناشر دار الجنان عمَّان ط/٢-٢٠١٢م

مخرجات مصادر الفكر اليهودي حديثًا، لا يغيرها زمن، ولا تعدلها ثقافة، ولا يعلمها علم، ولا يُهذبها حوار. فما من نقيصةٍ إلا وتمثَّلت في اليهود، وما مِنْ خُلُقٍ ذميم إلا وتخلَّقوا به، وما مِنْ رذيلةٍ إلا واقترفوها. وكل هذه الخصائص والصفات والسمات كما أنها خيوط مستقرة في النفسية اليهودية قديمًا فهي كذلك حديثا في وقتنا الحاضر.

والمتأمل في حال اليهود في عصرنا الحاضر يدرك أن العهد القديم – وتحديدًا أسفار التوراة الخمسة– المصدر الأول للتشريع لديهم، ويُنظم الإطار التعبدي لديهم. كما يحرص اليهود المتدينون على تلاوتها في الكُنُس؛ إذْ تبدأ تلاوة أسفار التوراة وتنتهي بعد عيد رأس السنة العبرية بقليل، وتتم تلاوة أجزاء من كتب الأنبياء ونصوص أخرى من العهد القديم في أيام السبت والأعياد. أضف إلى ذلك أن العهد القديم يوجد لدى معظم العائلات العلمانية؛ حيث تحرصُ مؤسسات الكيان على تقديمه كهدية في ختام الخدمة العسكرية، ولدى الشروع أو الانتهاء من عمل في السِّلك الوظيفي العام.(١)

ومن ذلك ما قاله من قبل رئيس وزرائهم السابق مناحيم بيجن: من التوراة ننطلق وإليها نعود".(٢)

---

(١) في قبضة الحاخامات؛ تعاظم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية. صالح محمد النعامي. الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٥هـ. ص ٤٢.

(٢) العنصرية الصهيونية اليهودية والبعد الإيديولوجي الديني. علي حسن طه. بيروت: دار الهادي، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م). ص ٣٥.

ويقول الحاخام نحمان كروخمل مؤلف كتاب "دليل حائري الزمن": "إن ما يميز اليهود عن غيرهم أن قوانينهم سماوية جاءت من الرب وأن مصيرهم مختلف".[١]

ويقول تيودور هرتزل مؤسس الصهيونية اليهودية في المؤتمر الأول الذي عُقد في مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م:إن دولة إسرائيل ستقوم على حرفية التوراة بعد نصف قرن"وأوصى أن تدفن توراته الخاصة المهداة إليه من قبل قسٍّ نصراني صهيوني والمعلَّم عليها حدود إسرائيل في قبره، وقد دُفنت معه سنة ١٩٠٤م.[٢]

إن هذه الشواهد وغيرها دليل واضح على مكانة التوراة عند اليهود، وأنها منطلق لهم في كل نواحي الحياة.

وإذا كان هذا هو أثر العهد القديم فللتلمود أثرٌ لا يقل عنه على الشخصية اليهودية وقد قيل : من يريد أن يدرس نفسية يهودي في أي صقع من أصقاع الأرض –فعليه أن يدرُسَ التلمود.[٣] وهذا صحيح وواقع؛ فالتلمود هو التعبير عن النظرة اليهودية الشاملة إلى العالم في امتدادها عبر ألف سنة من الزمن، محتوياته متعددة الجوانب كالحياة نفسِها، ولا يوجد شيءٌ في السماء ولا في الأرض مما جال بخاطر الناس في ذلك الزمن دون أن يؤتى على ذكره في صفحات التلمود.[٤] ولذلك، اهتم اليهود به تدريسًا وتعليمًا

---

(١) الصهيونية تعلم الحقد؛ قراءة في تشكيل العقل الصهيوني. حمد سعيد الموعد. قبرص: دار الملتقى، ١٤١٣ه (١٩٩٣م). ص ٤٨.

(٢) الصهيونية تعلم الحقد؛ قراءة في تشكيل العقل الصهيوني. حمد سعيد الموعد. ص ٢٣ – ٢٤.

(٣) مفاهيم تلمودية؛ نظرة اليهود إلى العالم. عبد المجيد همو. ص ١٩.

(٤) التلمود والصهيونية. أسعد رزوق. ص ١٤٩.

وتعليقًا؛ لأنه ينسجم مع النفسية اليهودية التي سنتعرَّفُ بعضَ خصائصها وسماتها. وكان أحد هاعام مُحقًّا عندما قال: "وجد اليهود في التلمود نافذتهم لأسمى استلهاماتهِم الفكرية. ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية، فإن التلمود لا يزال بعد التوراة هو القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية".(١)

وسنقصر الشواهد على أثر مصادر الفكر اليهودي كما فعلنا في المبحث الأول على موضوعين فقط وهما:

أ- فكرة الاصطفاء والاختيار

ب- فكرة الأرض الموعودة

أما فكرة الاصطفاء والاختيار فلا زالت النفسية اليهودية تؤمن بهذه الحقيقة, وتدافع عنها وتقررها على الملأ دون مواربة أو خجل فاليهود يرون أنهم فوق البشر، لا يقاسون مكانة بالشعوب الأخرى. وقد وظف اليهود هذه النصوص لإعلان سيادتهم على العالم واستعلائهم على البشر، ونصوص التوراة ترى لهم الحق عمن سواهم من البشر؛ فهم "شعب الله المختار" ويجوز لهم فعل كل شيء، بلا حساب ولا عقاب. ولهذا قال الحاخام ميئير كهانا عضو الكنيست: "لا يمكن أن نُميِّز بين دولة إسرائيل والتوراة؛ لأن دولة إسرائيل لم تقم بفضل قرارات الأمم المتحدة، بل بفضل التوراة".(٢)

والعالم الصهيوني :هو إغناتز زولتشتان"(١٨٧٧-١٩٤٨م) يصف اليهود بقوله :"أمة من الدم الخالص لا تشوبها أمراض التطرف أو الانحلال الخلقي "وعرَّف الصهيوني آرثر روبين تعريفاً عرقياً لليهود بين فيه أنهم" استوعبوا

---

(١) التطرف اليهودي؛ تاريخه – أسبابه – علاماته. عبد الراضي محمد. ص ٦١.

(٢) صحيفة يديعوت أحرونوت، بتاريخ: ٢١ / ٥ / ١٩٧١م.

عناصر عرقيةً أجنبيةً بدرجة محدودة ولكنهكم في أغلبيتهم يمثلون جنساً متميزاً على عكس ماهو سائد في دول وسط أوربا"[١]

وتقول "المؤرخة الانكليزية باربارا توتشمان في كتاب التوراة والسيف: لولا الخلفية التوراتية لدى الانكليز لكان صدور وعد بلفور باسم الحكومة البريطانية امراً مشكوكاً فيه رُغم العوامل الاستراتيجية التي كانت تملي احتلال فلسطين وتضيف أيضا: إن اهتمام بلفور وكثيرين غيره من الساسة البريطانيين بالصهيونية إنما يرجع إلى تدريبهم المستمر منذ الصغر على ما جاء في التوراة من وجهة نظر يهودية"[٢]

ولما كتب "موسى هس" عن الأفكار الصهيونية توج كتابته بأن أصدرها في كتابه" روما وأورشليم"١٨٦٢م الذي بشر فيه بتميز اليهود كعنصر وتفوقهم على الناس"[٣]

أما جماعة "كاخ" التابعة لمائير كا هانا المتطرف فمرجعيتها القواعد الأربع التي وضعها وهي:

١. اليهود شعب الله المختار
٢. فلسطين أرض الميعاد
٣. العنف هو الطريق الأول والأساسي لدولة يهودية خالصة
٤. الإيمان بمجيء المخلص"[١]

---

(١) في الخطاب والمصطلح الصهيوني دراسة نظرية وتطبيقية د. عبد الوهاب المسيري ص١٣٩ نشر دار الشروق مصر ط٢/١٤٢٦هـ
(٢) الأصوليون اليهود. منى الياس ص:٣٣
(٣) أبحاث في الفكر الصهيوني: حسن ظاظاص:١٢١

ب – فكرة الأرض الموعودة

إن فكرة أرض الميعاد أو الأرض المقدسة في الشخصية اليهودية المعاصرة لازالت حاضرة وستبقى لأنها تسقى بالنصوص الدينية من التوراة أو التلمود , وتوارثت الأجيال اليهودية هذه النظرية، ولــمَّا جاءت الحركة الصهيونية العنصرية –أكدت هذه القضية؛ فمنذ نشأتها قالت: "إن هدف الصهيونية هو خلق وطن في فلسطين للشعب اليهودي". ومفهوم عبارة "وطن للشعب اليهودي" –هو مفهوم عرقي يعني خلق وطن قومي لما يسمونه "الشعب اليهودي"، تنمو فيه الشخصية اليهودية ضمن الإطار القومي لليهود، ونمو الشخصية اليهودية ضمن الإطار القومي اليهودي –يعني تحقيق الشخصية اليهودية المميزة عن طريق بعثها في جو يهودي قومي خالص. ولذلك يصبح من واجب اليهود أن يتخلصوا من العناصر الأجنبية – الغربية التي تشوش على الصفاء والنقاء اليهوديين في عملية بناء الوطن القومي اليهودي.

فمن حق اليهودي، كما يعبرون، أن يكون يهوديًّا، ومن واجبه أن يكون كذلك. ومن حق اليهودي إقامة وطن يهودي، كما أن من واجبه العمل على بناء هذا "الوطن". ولذلك يصبح التخلص من العناصر الدخيلة، في عملية بناء الوطن القومي الخاص بالشعب اليهودي، حقًّا وواجبًا. فالشعب اليهودي، كما يؤكدون، فريد من نوعه، وحركته القومية هي الأخرى فريدة من نوعها. يقول الكاتب اليهودي موشيه منحن "لقد طبعوا في قلوبنا الفتية،

(١) المتدينون اليهود في فلسطين فرق ومواقف د. عبدالله اليحي ص:١٢٢ بتصرف نشر كنوز أشبيليا الرياض

بالترديد المتواصل، أن أرض الوطن يجب أن تصبح لنا مطهرة من الأجانب، نظيفة من الأغيار (الفلسطينيين العرب)".[١]

وقد أكد الساسة اليهود هذه النظرية في غير مرة. فذاك الوزير حاييم بارليف يقول: "نحن نطمح إلى تقليل العرب في الدولة اليهودية إلى أدنى حدٍ ممكن أو كأقلية أو كأغلبية ضئيلة".[٢]وقالت غولدا ماشي: "إنني أريد دولة يهودية من دون أي ضرورة لإجراء إحصاء للسكان اليهود وغير اليهود صباح كل يوم".[٣] وتقول بكل عنصرية وقحة: "إنني أنهض كل صباح وفي نفسي خوفٌ رهيب من ولادة طفل عربي".[٤]

وإذا كان النص التوراتي الذي في سفر التكوين :١٧-١٣ الذي يقول الرب فيه لإبراهيم :"قم امش في الأرض طولها وعرضها لأني لك أعطيها" نص ديني كُتبَ قبل الآلف السنين فهو المتكأ الذي يتكئ عليه اليهود اليوم في سياسة التوسع والاستيطان بل إنَّ مثل هذه النصوص جعلها اليهود المعاصرون ذريعة أولاً لإقامة دولتهم ثم لتوسعها في المستقبل ولذا اسرائيل بالأمس واسرائيل اليوم واسرائيل المستقبل لا تتحدث عن حدودها كما تتحدث باقي الدول بل يرون أن دولتهم الحالية لا تقوم إلى على جزء يسير من الأرض الموعودة يقول بن جوريون: في الكتاب السنوي الحكومي١٩٥٢م: تتألف كل دولة من الأرض والشعب واسرائيل لا تشذُّ عن هذه القاعدة غير أنها دولة لم تأت مطابقة لأرضها أو شعبها وأضيف الآن: أنها قامت فوق جزءٍ من أرض اسرائيل الكبرى.. والحزب القومي الديني

(١) العنصرية اليهودية. جورجي كنعان. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣م. ص ٢٠٩.
(٢) صحيفة يديعوت أحرونوت ١٩٧٢/١١/٢٦م.
(٣) صحيفة دافار ٢٠/٤/ ١٩٦٩م.
(٤) صحيفة معاريف ١٩٧٢/١٠/٢٥م.

أصدر خريطةً توضح أرض اليهود الكبرى وتشمل سوريا ولبنان والأردن والكويت وشمال المملكة العربية السعودية وسيناء..و يضيف: بعد قبوله للتقسيم ويقول قبول التقسيم لايُلزمنا بأن نتنازل عن شرقي الأردن, لا يستطيع أحدٌ أن يطلب من الآخرين أن يتخلوا عن أحلامهم سوف نقبل حدود الدولة كما ستحدد الآن ولكن حدود الآمال الصهيونية هي شأن الشعب اليهودي وحده ولن يستطيعَ أي أي عامل خارجي أن يحدِّ منه.. والأخطر من ذلك تصريحهُ لما زار إحدى المدارس اليهودية وخاطبَ تلاميذها قائلاً: إن خريطة اسرائيل ليست بخريطة بلادنا لدينا خريطةٌ أخرى وعليكم أنتم طلبةَ وشبيبة المدارس اليهودية أن تجسدوها في الواقع وعلى الأمة اليهودية أن توسع رقعتها من النيل إلى الفرات"[١]

بل إن الحدود المستقبليةَ لأرض الأباء والأجداد الأرض الموعود مفتوحة الحدود "وتمتد في النهاية إلى جميع زوايا الأرض بالتبعية أو التملك وتحديد الحدود يعني نهاية أحلام اليهود وهو لا يتفق مع عقليتهم ويؤكد مؤتمر" نيو جيرزي " اليهودي عام ١٩٨١م رفضه إعلان الحدود المحتملة للدولة العبرية وقد سبق ذلك كتاب "التاريخ الأعظم"ل / آزربن يمين عام ١٩٥٢م وجاء فيه: إن إقامة الحدود للدولة الاسرائيلية سيكون خطأ فادحا لأنه سوف يحبسها سياسياً وتاريخيا"[٢] وهذا يعقوب فايتلسون من غلاة القوميين العلمانيين يرى أن على اسرائيل أن تُنشيء مُدناً جديدة في المنطقة كلها أعني منطقة الشرق الأوسط كلها من دون أن نحد أنفسنا, ينبغي لنا ألا نقول عن أي موقع هنا نقف"[٣]

---

(١) المتدينون اليهود في فلسطين فرق ومواقف ص:١٢٢ بتصرف ـــ

(٢) المتدينون اليهود في فلسطين ص: ١٢٣

(٣) المرجع السابق ص: ٢١٢

وفي هذا الأمر قال موشيه ديان: "إذا كنا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، فمن الواجب علينا أن نمتلك جميع الأراضي المنصوص عليها في التوراة".[١] فشرعية اغتصاب الأرض تمت من خلال نصوص التوراة،

ويؤكد ذلك أعني أهمية الأرض الموعودة عن اليهود المعاصرين بنيامين نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني الحالي في برنامجه السياسي الذي قدمه للكنيست: "لا تفريط في أرض التوراة".[٢]

وإذا كان هذا على مستوى الزعماء السياسيين والرموز والنخب اليهودية فهو كذلك برنامج للأحزاب والفرق والجماعات فحزب غوش إيمونينم المسمى بكتلة الإيمان والذي توصف حركته بحركة التجديد الصهيوني والممثل للحركة اليهودية المعاصرة وحزب المستوطنات ولذلك من برامج عمله بناء المستوطنات وتوسيع المستوطنات القائمة ويرفض هذا الحزب التنازل عن الأراضي المحتلة عام١٩٦٧م ويعارض اتفاقيات كامب ديفيد ودبلوماسية مدريد وقرارات أوسلو ومن برامج هذا الحزب أو الحركة: إيمانها بفكرة أرض اسرائيل كبديل لفكرة" دولة اسرائيل" على اعتبار أن أرض اسرائيل يهودية أبدية, ومنهج هذه الحزب أو الحركة يختزله شعارها: أرض اسرائيل لشعب اسرائيل طبقاً لتوراة اسرائيل." [٣]

(١) صحيفة جيروزاليم بوست، بتاريخ: ١٠ / آب / ١٩٦٧م.

(٢) المواثيق والعهود في ممارسات اليهود؛ قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر. جبر هلول. بيروت: مجد (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، ١٤٢٤ه (٢٠٠٤م). ص ١٨٥.

(٣) المواثيق والعهود في ممارسات اليهود؛ قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر. جبر هلول. بيروت: مجد (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، ١٤٢٤ه (٢٠٠٤م). ص ١٨٥.

وهو كذلك عنصر مهم من مهام المؤتمرات الصهيونية التي تُقام عن اليهود و الارض الموعودة ففي مؤتمر بازل بسويسرا عام١٨٧٩م أعلنت الحركة الصهيونية أن هذا المؤتمر يهدف إلى إقامة وطن للشعب اليهودي"[١]

---

[١] العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي ١/١٢٠ د. أحمد الزغيبي نشر مكتبة العبيكان بالرياض ط/١٤١٨هـ

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد وفق الله تعالى لجمع مادة هذا البحث، وصياغته التي خرج بها. وفي خاتمته أوجز ماتوصلت له بالنقاط التالية:

١. أهمية دراسة هذه الموضوع وتناوله بالبحث لعلاقتة بعدو متربص بنا والصراع بيننا وبينه مفتوح إلى قيام الساعة كما أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٢. اليهود في الماضي هم يهود الحاضر بل أشد عداوة وضراوة وخطورة لسيطرتهم على العالم وتحكمه بمفاصله السياسية والاقتصادية والسياسية والإعلامية.

٣. لابد من وجود الآطار الشرعي لأحدث عملية تكاملية لدراسة الفكر اليهودي.

٤. يمارس اليهودُ خداعا ومكرا وصفهم الله به في قضية أرض فلسطين من حيث حدود الدولة اليهودية لربما غفل عنه الناس فحدوج دولتهم مفتوح ولا يمكن أن يحدد إلا بعد إقامة اسرائيل الكبرى.

٥. لايزال اليهود وسيبقون كما اتضح من خلال الدراسة يستشعرون أنهم من جنس آخر يختلف عن بقية البشر وبناءً على هذا التصور يرسمون سياساتهم ويقيمون اتفاقياتهم وعلاقاتهم بالآخرين.

٦. الباحثون اليهود في العصر الحاضر يشهدون انقسامًا حول قضايا فكرية في اليهودية، كان المساس بها سابقًا جريمة نكراء، طُرد

بسببها إسرائيل شاحاك الأستاذ في الجامعة العبرية بالقدس. أما اليوم فهي مطروحة للنقاش والنقد من قبل اليهود أنفسهم قبل غيرهم. ومن ثم، فإن رصد مثل هذه المسائل مفيدٌ جدًّا في هذا الوقت، الذي ينظر فيه اليهود إلى غيرهم نظرة فوقية، تنبع من عقيدة أنهم شعب مختار من قبل الله، وينفذ إرادته.

والله تعالى أسأل التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس المصادر والمراجع

- أبحاث في الفكر اليهودي. حسن ظاظا. دمشق: دار القلم – بيروت: دارة العلوم، ١٤٠٧ه (١٩٨٧م).
- أبواق التلمودية العالمية. محمد محلا. دمشق: التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ١٤٣١ه (٢٠١٠م).
- إسرائيل والتلمود؛ دراسة تحليلية. إبراهيم خليل أحمد. القاهرة: دار المنار للنشر والتوزيع، ١٤١٠ه (١٩٩٠م).
- الأصولية اليهودية؛ فرنسا – إسرائيل – الولايات المتحدة. إيمانويل هيمان (ترجمة: سعد الطويل). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م.
- أضواء على بروتوكولات حكماء صهيون (النصوص الكاملة)؛ دراسة تحقيقية تاريخية معاصرة. رجا عبد الحميد عرابي. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
- برتوكولات حكماء صهيون؛ الخطر الصهيوني. فكتور مارسدن (ترجمة: أحمد علي فياض). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٣٩٤ه (١٩٧٤م).
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الذهبي (ت: بشار عواد معروف). بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- ترجمة متن التلمود (المشنا). مصطفى عبد المعبود سيد منصور. الجيزة: مكتبة النافذة، ٢٠٠٧م.

- التطرف اليهودي؛ تاريخه – أسبابه – علاماته. عبد الراضي محمد. القاهرة: مكتبة التوعية الإسلامية، ١٤١٣ه (١٩٩٣م).
- التلمود والصهيونية. أسعد رزوق. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية – مركز الأبحاث، ١٣٩٠ه (١٩٧٠م).
- التلمود؛ كتاب اليهود المقدس. أحمد إيبش. دمشق: دار قتيبة، ٢٠٠٦م.
- التوراة بين الوثنية والتوحيد. سهيل ديب. بيروت: دار النفائس، ١٤٠١ه (١٩٨١م).
- التوراة؛ تاريخها وغايتها. ترجمة وتعليق: سهيل ديب. بيروت: دار النفائس، ط ٣ / ١٩٨٠م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن السعدي (ت: عبد الرحمن اللويحق). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢ه (٢٠٠١م).
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي). القرطبي (ت: عبد الله عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقسوسي). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٧ه (٢٠٠٦م).
- الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم واستطراد إلى الموقف الراهن بين العرب واليهود. محمد عزة دروزة. دمشق: مكتبة أطلس، ١٣٨٨ه (١٩٦٧م).
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ابن تيمية (ت: علي حسن ناصر وآخران). الرياض: دار العاصمة، ط ٢ / ١٤١٩ه (١٩٩٩م).

- سِفْر التاريخ اليهودي؛ اليهود: تاريخهم، عقائدهم، فرقهم، نشاطاتهم، سلوكياتهم، الحركة الصهيونية والقضية الفلسطينية. رجا عبد الحميد عرابي. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ (٢٠٠٤م).
- سنن ابن ماجه. ابن ماجه (ت: محمد فؤاد عبد الباقي). القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٢هـ.
- سنن أبي داود. أبو داود السجستاني (ت: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي). دمشق: دار الرسالة العلمية، ١٤٣٠هـ (٢٠٠٩م).
- السنن الكبرى. النسائي (ت: حسن عبد المنعم شلبي). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ (٢٠٠١م).
- السيرة النبوية لابن هشام (ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢ / ١٣٧٥هـ (١٩٥٥م).
- الشخصية اليهودية من خلال القرآن؛ تاريخ وسمات ومصير. صلاح عبد الفتاح الخالدي. دمشق: دار القلم، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م).
- الصهيونية تعلم الحقد؛ قراءة في تشكيل العقل الصهيوني. حمد سعيد الموعد. قبرص: دار الملتقى، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م).
- العنصرية الصهيونية اليهودية والبعد الإيديولوجي الديني. علي حسن طه. بيروت: دار الهادي، ١٤٢٢هـ (٢٠٠٢م).
- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها. أحمد عبد الله الزغيبي. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ (١٩٩٨م).

- العنصرية اليهودية. جورجي كنعان. بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٨٣م.
- فضح التلمود؛ تعاليم الحاخامين السرية. آي. بي. برانايتس (إعداد: زهدي الفاتح). بيروت: دار النفائس، ط ٤ / ١٤١٢ه (١٩٩١م).
- في ظلال القرآن. سيد قطب. القاهرة: دار الشروق، ط ٣٢ / ١٤٢٣ه (٢٠٠٣م).
- في قبضة الحاخامات؛ تعاظم التيار الديني الصهيوني في إسرائيل وآثاره الداخلية والإقليمية. صالح محمد النعامي. الرياض: مجلة البيان، ١٤٣٥ه.
- قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام أبيدوا أهله. جلال العالم. دون ناشر، ١٣٩٥ه (١٩٧٤م).
- قصة حياتي؛ قيام دولة إسرائيل وحروبها ضد العرب. موشي ديان (ترجمة: طارق نصر الدين حسن). الجيزة: مكتبة النافذة ٢٠١٠م.
- الكنز المرصود في قواعد التلمود. روهلنج – إشيل لوران (ترجمة: يوسف حنا نصر الله). القاهرة: مطبعة المعارف، ١٨٩٩م.
- لسان العرب. ابن منظور. بيروت: دار صادر، ط٣ / ١٤١٤ه.
- المجازر اليهودية والإرهاب الصهيوني. عبد المجيد همو. دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ط٤ / ٢٠٠٤م.

- المخططات التلمودية اليهودية والصهيونية. أنور الجندي. القاهرة: دار الاعتصام، ١٣٩٦ه (١٩٧٦م).
- مدخل نقدي إلى أسفار العهد القديم. محمد خليفة حسن القاهرة ١٤١٧ه بدون ذكر اسم الناشر.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. أحمد بن حنبل (ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون). بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ه (٢٠٠١م).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي. الفيومي (ت: عبد العظيم الشناوي). القاهرة: دار المعارف، ط٢ / د.ت.
- المعجم الأوسط. الطبراني (ت: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني). القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥ه (١٩٩٥م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة. أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل. القاهرة: عالم الكتاب، ٢٠٠٨م.
- معركة الوجود بين القرآن والتلمود. د. عبد الستار فتح الله سعيد وغيرها.
- مفاهيم تلمودية؛ نظرة اليهود إلى العالم. عبد المجيد همو. دمشق: دار الأوائل، ٢٠٠٣م.
- المواثيق والعهود في ممارسات اليهود؛ قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر. جبر هلول. بيروت: مجد (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، ١٤٢٤ه (٢٠٠٤م).
- اليهود في العالم القديم. مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد. دمشق: دار القلم، ١٤١٦ه (١٩٩٥م).